احدى شخصياته تعتبر فوز فريق سخنين اهم نجاح للعرب بعد معركة حطين!:

فيلم عن فريق لكرة القدم يروي قصة صراع العرب مع اسرائيل

سليم أبو جبل*

■ لم تكن سهى عراف مخرجة فيلم «واحدة في الإجر وواحدة في القلب» تعرف شيئا عن كرة القدم قبل أخذ القرار بتصوير الفيلم، ولكنّها كانت تعرف أنّ قصة فريق أبناء سخنين هي أكبر من كونها لعبة كرة قدم، إنها قصة البحث عن متنفس يقول فيه العرب لأنفسهم ها نحن أفضل من اليهود؟ وينسون بعد ذلك طرح السؤال: لماذا خسرنا المعركة على الأرض؟ لتتأكد النتيجة بعد ذلك على أن هذا الفوز ما هو إلا وهْم، يريد أصحابه الاستمتاع فيه حتى النخاع، وكأنه المعركة الأولى والأخيرة.

أرادت عرّاف أن تصنع فيلماً عما يخصّ الأقلية العربية ـ كما تدرج التسمية ـ عبر الدخول إلى العالم الشخصي للشخصيات الرئيسية التي اختارتها لتحكي مجريات الأحداث، بأسلوب سينمائي أقرب إلى الروائي فهو ليس فيلما تسجيليا فقط كونه يروي بطريقته قصة العرب الفلسطينيين في إسرائيل، وصراعهم المستميت ضد المؤسسات الصهيونية، التي لا ترى العرب وتكاد لا تسمع عنهم.

شجعوا الفريق أولا

«قنبل» هو مشجع دائم للفريق، يتحلى بروح نكتة وسرعة خاطر كقوله بعد إحدى المباريات: «لو خسرنا كنا سنزرع الملعب بامية». وتبدو جميع شخوص الفيلم ذات نكهة خاصة، كما هي قصة فريق أبناء سخنين، الفريق المحسوب على «عرب إسرائيل»، القادر على اختراق جدار اليهودية، صفة الدولة التي يعيش فيها العرب الخاسرون في لعبة الديموقراطية الإسرائيلية، الفائزون هنا وهناك في العاب ثانوية على ملاعب الرياضة والفنون والإستعراض.

«هذا هو الفوز الثاني المهم للعرب بعد فوز صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين» هكذا تعبر إحدى شخصيات الفيلم عن فرحتها بفوز فريق البلدة. وبقدر ما تثير هذه المقولة الضحك، بقدر ما تؤكد افتقار القدرة على تحقيق الوجود في ظل غياب معالم الهوية الفلسطينية، بفعل التشويه الصهيوني المتعمّد. وبقدر ما يريد الكثيرون تحقيق الوجود الفلسطيني، يريد آخرون تحقيق الاندماج في انتصاراتهم الشخصية ذات الطعم الإسرائيلي!

فهل يمثل فريق أبناء سخنين العرب في إسرائيل مقابل اليهود في الدوري الإسرائيلي، أم يمثل إسرائيل في العالم، كحامل لكأس الدولة؟ والسؤال الأهم ماذا يريد مشجعو سخنين أن يمثلوا، هل حقاً يريدون تمثيل إسرائيل وتحقيق إنجازات إسرائيلية، أم يريدون تمثيل انفسهم فقط؟

فمن يشجع العرب حين ينافس منتخب إسرائيل فريقا أوروبيا؟ الفريق الإسرائيلي أم الفريق الخصم؟ هل يقابل العرب العنصرية والتمييز بالوقوف ضد رموز الدولة الصهيونية؟ هل يختلف إحياء ذكرى يوم الأرض عن الاحتفال بالفوز ببطولة إسرائيل بكرة القدم؟ هذا جزء من الأسئلة التي يحاول فيلم سهى عراف الإجابة عليها، وهو ليس بالأمر السهل خصوصا وأن هذه الأسئلة لا ترتبط بأجوبتها، بل بأسئلة أخرى كثيرة!

الموت للعرب

لم تتلق عراف دعما من صناديق دعم السينما الإسرائيلية، ولكن لو حصل، فلن يغير هذا في تعريف عراف لفيلمها على أنه فلسطيني، حتى لو أنه أنتج بدعم من صناديق السينما الإسرائيلية. فقد أرادت عراف ان تصنع فيلما وفي ذهنها أن ملعب كرة القدم بات حلبة الصراع بين العرب واليهود، فلم تكن تعنيها لعبة كرة القدم بقدر ما كان يعنيها الجمهور أو هذا الكم الكبير من الناس الذين يتواجدون في مكان واحد فيهتف جمهور فريق بيتار القدس «الموت للعرب» ويرد العرب: «بيتار عاهرة» وهكذا تتردد الشعارات وتنحدر إلى لغة بذيئة استعدادا للحرب على أرض الملعب على خلفية موسيقى «هتكفاه»، النشيد الوطني الإسرائيلي، وفي مشاهد أخرى تستعمل عراف موسيقى ذات إيقاع حربي كما في لعبة سخنين في بئر السبع، وحين تبدأ اللعبة لا تصوّر عراف اللعبة وإنما العنف الذي يرافق صراع العرب لأجل البقاء.

يتميز الفيلم بإيقاعه الخاص بسبب كونه عن كرة القدم، اللعبة السريعة، وهو أمر أدركته مخرجة الفيلم ومنفذة المونتاج ندى اليسير عن وعي، ولكنه كان اختيارا صحيحا، ليس فقط بسبب كونه فيلما عن كرة القدم وما حولها ولكن بسبب السينما الجديدة التي تمر بمرحلة المخاض، فتولد قادرة على التعبير عن هموم ومشاكل العرب الفلسطينيين الباقين في ارضهم.

عرب الدولة أم عرب أنفسهم؟

يمشي الفيلم منذ البداية على مسار الخارطة التي تتداخل في مشاهد الفيلم في انتقالها من بلدة عربية إلى أخرى لتؤكد أن الحكاية ليست حكاية سخنين فقط وإنما كلّ العرب. وفي مشهد صعب ومؤثر يحمل والد أحد الشهداء صورة ابنه في ذكرى أحداث تشرين الاول (أكتوبر) ولكنه يقول انه ذاهب لمشاهدة اللعبة بعد ذلك، فهذه لعبة مصيرية اما حياة وإما موت.

فهل تقارن عراف بين مشجعي فريق سخنين والمشاركين في إحياء يوم الأرض، والمحتفلين في يوم الزفاف؟ يبدو أن الفيلم يبرز إلى اي درجة يعاني العرب من هوس النجاح وتحقيق الذات، لذلك فإنها لا تجد صعوبة بالغة في إيصال المقولة التي تراها ضرورية أكثر من غيرها؛ حالة التشوية والفوضى والبلبلة والرغبة والحاجة إلى إيجاد حلول لمظاهر التمييز والعنصرية والتقتير والظلم التي يعاني منها أبطال فيلمها.

في شرك الإعلام الإسرائيلي

وبعد، فإن إقتراب الفريق من نهاية مشواره يفتح الطريق إلى طرح التساؤلات حول شرعية تمثيل كرة القدم أو عارضات الأزياء ومن لفّ لفيفهم للعرب في إسرائيل، وحول محاولة المؤسسة الإسرائيلية إرضاء العرب بنصر خفيف على الطريقة الإسرائيلية، فيحققون النصر والمساواة! ويحققون وهْم وجودهم بمجرد إفساح وسائل الإعلام مساحة، تزداد في الآونة الأخيرة بسبب رغبة أصحاب الأموال من مالكي شركات الانتاج والقنوات جذب أكبر عدد من المشاهدين والمُعلنين، فالعربي الذي كان لفترة طويلة في الظل بات السلعة الرابحة الجديدة، وكأنه ـ تخيلوا ـ كائن غريب اصطاده الإسرائيلي من أدغال الشرق وقال: تعالوا، إدفعوا وتفرجوا!

سهى عراف (القدس العربي)

* كاتب من فلسطين

تداعيات

النزول إلى الجحيم

سعيد بوكرامي*

بدت لي الطريق على متن الحافلة المكيفة الهواء سهلة ومريحة. تناولت قرصا من النوطامين، فأحسست مرارته في جوفي. حاولت النوم وعند كل إغماضة تتحرك الصور أمامي. صور المودعين المشيعين وهم يهمسون النصيحة ويشنّجون عضلات الوجه بالمواساة. أطرف ما قيل لي، هي نصيحة محمد قال: عليك أن تحتاط من الذباب ففي تلك المناطق يلتهم العيون ويصيبها بمرض لا علاج له.

بدأت أتخدر وأسترخي، عضلاتي إسفنجية وتفكيري رخو، أما المشاهد فلطخات من الضوء والظلمة الرمادية.

استيقظت مذعورا على صوت انفجار عارم. كان الممثل البشع شوارزنغير على شاشة التلفزيون يكاد يحطم العالم مجسدا بذلك ذهنية البنتاغون. تناولت قرصا آخر وأسلمت رأسي لزجاج النافذة الباردة. لا أعتقد أني حلمت بشيء أو هكذا خيل إلي لكن تنفسي كما قال رفيقي الذي لم يغمض له جفن وبقي جاحظ العينين كابن آوى أن تنفسي كان متحشرجا وكأني كنت أركض في مكان ما. وبعد لحظات أفقت على دوران لا نهائي، فكلما أعدت رأسي إلى مكانه انحرف بعنف مرة أخرى في هذه اللحظة أدركت أني نازل إلى الجحيم.

بعد منتصف الليل رجّني رفيقي وقال:

ـ أتنزل لتتعشى أم تكمل نومك؟

رفعت رأسي الدائخ ونزلت.

رائحة الشواء ممزوجة بظلمة حالكة تسيج الفضاء. مقاه بسيطة مفتوحة على العبور الشاق والغامض. بضعة دكاكين تعرض كل شيء للبيع. ما يخطر وما لن يخطر على بالك. وكأن البشر العابر لاجئ إليهم من كوارث أو قيامة.

الجزار النحيف الذي اعتدت عليه بعد ذلك في ذهابي وإيابي اللانهائي يشير بكفه –ذات الأربع أصابع فقط ـ إلى مؤخرة خروف، ضاربا فوقها بساطور صغير، احتشد الركاب والتفوا حوله وكأنهم سيبدأون طقسا أسطوريا. ثم بدأ يهوي على أعضاء الخروف بلذة ونشوة . تذكرت إحدى قصص تنيسي وليامز التي تحكي عن رجل أسود التهم رجلا أبيض، التهمه نيئا. بدد معالم الصورة إحساسي بالجوع ورغبتي في افتراس أحد أطراف هذا الخروف المسكين.

عندما أخذت ألتهم قطع اللحم المورّد بنيران الجمر شعرت بلذة رائعة وطعم غريب ورغبة في مزيد منه . قلت لصاحبي:

ـ هذا اللحم طعمه غريب!

ضحك الملعون بسخرية وقال:

ـ قد يكون لحما آدميا، وربما سمعت بجزار لهجاجمة1 الذي تعب من نهب بعض رجال الشرطة لشوائه دون أن يؤدوا الحساب. فأخذ يطحن لهم لحم الحمار كفتة خصيصا لهم. هذا ما صرح به في المحكمة.

قال ذلك وسكت وترك رجع كلامه يعصر معدتي الخربة. نظر إلي مرة أخرى وهو يعض قطع الشواء، وقال:

أهلك بالضوء
ثم تطلق العنان
لأني عاشق طين
لأفكارها اللئيمة
وفصوص ليل
من أنت؟
وحين أفرغ
شهوة سحاب
من الهروب
قارب ضائع
في تلك الدروب الغافية في
كم
السواد
من
أسمع تلك الأصوات
سؤال
من وراء الباب
تحتاج في زمن الوحل؟
عربات بخيولها
لا تغفو أبدا
تهوي إلى التكرار
يجب أن تبصر الموت
يمكنك أن تبصر
الصاعدة من أجيج الرمال.
رؤوس الهاربين من الحرب
تقهقه بيأس
أبدا
مرقشة بسخام
تشخر الحافلة
الدهشة
في الهوى
أسنانها ناصعة
في هذه البيداء
بالندم.
منعرجات
حافات.. تيشكا2

رفاقي الثلاثة
تلاشوا في الهواء
يا أصدقاء الليل
أنظر إليهم
والسحاب
كيف استطاعوا
والخطر
مغادرة الهباء
النهاية
بمكالمة هاتفية
نهاية واحدة
ورشوة وربما ضربة حظ.
ومتشابهة
لا تفكر في مصدر النسيج
دوخة
العناكب لا تشيخ
في الخبل
تباغت بالفطرة
وتسلق
تجمع صيد الفخاخ
لمتاهات السأم.
في مستودعها البارد

ـ لا تصدق ما قلته..

ثم بدأ يقهقه:

ـ كل يا عزيزي، هذا اللحم ، لفرط لذته، لن يكون إلا لحما آدميا..

وأعاد الكلمة عدة مرات وهو يتبع القطع إلى فمه برشفات الشاي.

صديقي العزيز

بدأت رسالتي بعدما سمعت من أحد الشعراء الشباب مقاطع من ديوانه الجديد. تلاقينا بالصدفة فعرفني وتعرفت عليه. عميق وحساسيته تجريدية ينقل الأشياء المحسوسة والهامشية من سياقاتها العادية إلى سياقات ذهنية عجيبة..

شربنا القهوة وانصرف ليلاقي الصحراء. قال إنه يعرفها جيدا ولن تغلبه بالتأكيد استعاراتها اللاهبة لأنه أعد لها من المتاهة ما يكفي لصياغتها بالأبيض والفضي.

1 حي صفيحي مهمش في الدار البيضاء.
2 جبال شاهقة تقع بين مدينة مراكش وورزازات

* كاتب من المغرب

الروائي محمد عبد السلام العمري يواجه «ثقافة الهزيمة»

كتاب جديد يندد بوزير الثقافة ويعتبر حلقته الوزارية أسوأ فترة في تاريخ الثقافة المصرية وتصورات حول دور الثقافة في التنمية والتطوير الشاملين

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

لا يمكننا بحال فصل حال الثقافة المصرية عن واقعها السياسي والاجتماعي، ولا يستقيم الحديث عن غياب المشروع الثقافي دون نقاش عن غياب قرينه النهضوي بالمفهوم العام سواء كان ذلك على مستوى الوعي بالحتميات المستقبلية، أو الوعي بالمأزق الحضاري الراهن الذي تتشكل عبره الهياكل الشبحية المخيفة للحكومات والملكيات الأبوية، يشمل ذلك تلك الانظمة التي شاركت بالقسط الاكبر في قيادة حركة التحرر الثوري العالم ثالثي التي وعدت بتغيير العالم ولم تترك في الواقع سوى تركة ثقيلة ورثها عسكريون أغبياء أساؤوا اليها والى انفسهم والى حضارتهم وأممهم.

وسوف يكون من المخجل ان نوجه مثل هذه الاسئلة الى شخص أي وزير ثقافة في العالم العربي مهما كانت الثقافة التي يحتمي خلفها، ولن نغفر لأي منهم العطايا المبذولة لمثقفين هنا وهناك يمتهنون التبوير مهنة، ولا يجدون غضاضة في الدفاع المستبسل عن هذه الصورة الكريهة للسلطة، التي حاول رصدها الروائي والقاص محمد عبد السلام العمري على اكثر من مستوى سواء كان ذلك المتعلق بالعلاقة بين الثقافة والتغيير بمفهومه العام، أو هذا الجانب المتعلق بالأداء الوظيفي الذي يقوم على توصيل وتفعيل العلاقة بين الثقافي من ناحية والسياسي والمجتمعي من ناحية اخرى حول هذه العلاقة الشائكة.

اصدر الروائي محمد عبد السلام العمري ـ كتابا جديدا على نفقته الخاصة تحت عنوان «ثقافة الهزيمة» وبعنوان فرعي داخلي هو «حاضر الثقافة المصرية» وفيما يبدو فان الكتاب يشمل عددا متباينا من الدراسات والمقالات التي سبق نشر بعضها للكاتب نفسه.

بعد الاهداء والتقدمة تأتي الدراسة الاولى للعمري تحت عنوان «حال ثقافتنا» ويشير في بدايتها الى ان حاضر ثقافتنا الان كما يتبدى للمثقف الموضوعي النزيه والمحايد حاضر مؤرق مقلق لأن هذه الثقافة كما تتبدى ثقافة دعاية واعلام ومهرجانات، ظلام وقهر اما لُب الثقافة الحقيقية فتغطيه وتعتم عليه هذه القشور البراقة المبهرة، التي تنتهي فعاليتها بانتهاء مناسباتها.

ويتساءل العمري: هل تجتمع هذه الثقافة الآتية حول مشروع قومي يرتضيه المثقفون ويلتفون حوله، ويتحمسون له، ويجسدونه؟ لكنه سرعان ما يجيب بأن هذه الثقافة تؤكد وتجذر القطيعة بين المثقفين، ووطنهم وتقف في جانب السلطة.

وينتقل العمري من علاقة المثقف بالسلطة الى علاقة الثقافة بالحرية ويقول: تتجسد السلطة لدينا في مؤسسات للضبط والمراقبة، والعقاب، ولا يمكن لأي حديث جاد في الثقافة الا ان يلتقي في دروبه بقضايا الحرية والقيد.

ويقول العمري: أدت ممارسة هذه الثقافة خصوصا في بعدها السياسي الى تصدع هائل في الفرد، وفي المجتمع على السواء وقد شغلت هذه الفئة الساحة، وهي نخبة متهالكة طاردة لكل ما يغايرها، فأصبح الانتاج المعرفي والثقافي واهنا ومهترئاً وتآكلت بذلك المكانة الاقليمية للدولة المصرية، وبدا ذلك واضحا، بدءا من مستوى التعليم المتدهور، حتى لغة الحوار السياسي، الذي يصدر من طرف واحد. ويردف العمري قائلا: لم يعد في مصر ثقافة، بل صياغة ثقافية قلبت المعايير فهل يستحق المثقف المصري الانتماء الى مصريته؟ ويجيب: ان البعض يرى ان التدليس والانطباع والخطائر، هي خيانة في المفهوم الشفاهي والشعبي للثقافة، وأن المصرية اكبر بكثير وأرقى من أن ينتمي مثل هؤلاء اليها، وينقل العمري عن الدكتور محمد حافظ دياب ان مصطلح الانحطاط الثقافي يليق بهذا الأوان، وهو الأنسب.

اما الدراسة الثانية التي يقدمها محمد عبد السلام العمري فجاءت تحت عنوان «تدمير الثقافة المصرية» ويتناول فيها عددا من اوجه التضارب وعدم التعقل ـ حسب وصفه ـ في قرارات وزير الثقافة فاروق حسني ثم يستعرض ذلك تفصيلا عبر الحوادث البارزة مثل احتفالية نهاية القرن والاحتفال بالحملة الفرنسية ونهب الاثار وقلعة محمد علي ويتوقف امام بعض الاحاديث الصحافية للوزير والتي يرصد عبرها الكثير من التضارب والتناقض، وفي مقال تال بعنوان «متناقض بشدة» يستعرض العمري مشكلات عدة في قطاع الاثار مثل ترميم الازهر وتركه فنيا بهذه الخطورة لشركات المقاولات، ويقول العمري قاصدا الوزير: لقد كان يعلم ان هناك ايادي ارهابية عابثة طمست معالم الجامع الاثرية، وبرر هذا انها تقوم بالترميم بحجة التزيين والحقيقة التي لم يستطع ان يقولها ان هذه المعالم لا تروق الجماعات الاسلامية التي تعشش في الازهر واننا نعلم ان كل الفنون في مفهومها حرام وقد تغاضى عن هذا العبث. وأشاد الوزير بما تبقى من المقرنصات والزخارف على الواجهات، في حين تم محوها في الداخل، الا ان لب الموضوع هو أن بعض الأعمدة والأرضيات باتت مخلخلة بفعل المياه الجوفية، ومياه الصرف، ولا تعرف هل تم تلافي هذه العيوب عندما استولت عليه شركة المقاولين العرب بأمر مباشر من وزير الاسكان أم لا؟ ولماذا صمت وزير الثقافة عن ترميم أهم أثر معماري اسلامي في العالم؟

ويرى العمري ان احوال الاثار الاسلامية لا تقل سوءا عن حال الازهر فيوجد مثلا في شارع المعز 87 أثرا اسلاميا اهمها مجموعة قلاوون والمؤيد شيخ وقصر بشتاك والأقمر والحاكم، وبوابة المتولي، وهي كلها اثار معرضة للتدمير، كما يشير ايضا الى احتراق قصر الجوهرة بعد نهب محتوياته وكذلك دار الاوبرا الخديوية التي لا تزال تعاني ـ حسب العمري ـ من الحسرة المريرة، على ضياعها من ناحية، وعلى قبح وتخلف ما حل محلها وناحية اخرى الى الدمار المستمر لكنوز القاهرة الفاطمية على يد الورش ومعامل الطرشي ومحلات الأدوات المنزلية.

ويعبر العمري عن دهشته من تبرير الوزير لسرقة الاثار حيث ان عدد امناء العهد قليلون وكل واحد منهم يشرف على آلاف القطع ويجيب العمري على الوزير بسؤال آخر: هل هذا معقول؟ هذا يفسر كل هذه السرقات، ألا يوجد في مصر اكثر من 4,5 مليون شاب عاطل، معظمهم من المؤهلات العليا وأثريين وفنانين متخصصين، ثم نترك 17 ألف قطعة اثرية في عهدة موظف واحد؟

كذلك ينتقل العمري الى مشكلة ترميم قصر البارون بواسطة وزارة الاسكان ثم قضية الروايات الثلاث التي تفجرت في عام2001 ويرى ان موقف الوزير لم يكن مقبولا على أي نحو وكان يجب عليه ان يدافع عن المثقفين، وعن حرية الابداع، لكنه صادر الكتب وأحال المسؤولين عن اصدارها للتحقيق وفتش في ضمائرهم اكثر مما يفعل الظلاميون، وأعلن ان الروايات تعد على الأديان والجنس فيها بورنو. ويقول العمري ان الهدف مما فعله الوزير هو تقديم نفسه كرجل يحافظ على تقاليد المجتمع وأديانه، ليس حبا في الدين أو في المجتمع ويعرف انه لا يريد ان يستعدي هذا التيار الظلامي ضده.

ايضا تناول العمري محرقة مسرح قصر ثقافة بني سويف وما انتهت اليه من مقتل اثنين وخمسين من المبدعين والمخرجين والنقاد، وكذلك النهب المنظم والدائم للاثار المصرية، ثم ثقافة القبح والرداءة وعلاقة ذلك بانشاء ما يسمى جهاز التنسيق الحضاري والحداثة بين عمارة القبح وثقافة القهر والسؤال الاساسي للعمري في هذه الدراسة هو كيف يفشل مجتمع به اكثر من 250 مهندسا معماريا ومخططا في الحفاظ على شخصية مدينة مثل القاهرة؟

ينتهي العمري الى القول بأن المشكلة الحقيقية الآن هي هذا التآلف العجيب بين القبح والرداءة والعشوائيات ويرى ان مشكلتي الترييف والعشوائيات من اكبر المشاكل التي تواجه المدنية العربية الحديثة.

كذلك قدم العمري فصلا من كتابه حول مذابح القصور والفيلات ويرى ان دورا كبيرا كان ينعقد على وزارة الثقافة في الحفاظ على هذا التراث ثم كتب العمري فصلا اخر تحت عنوان «ثقافة الجهل بالكتلة، بالحيز، بالفراغ والميادين المستباحة» ويتناول فيها التماثيل التي توضع في ميادين عامة دون دراسة، كذلك تضمن الكتاب ايضا مقالا تحت عنوان «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» وهو عنوان كتاب كانت اصدرته مكتبة الاسرة للشاعر الانكليزي المعروف ت، إس، اليوت ويتهم العمري الكتاب بالتطرف ودعم توجهاته التي يناهضها بالاساس مشروع مكتبة الاسرة ثم يتناول العمري معرض الكتاب ومجلات وزارة الثقافة ورجال الوزير ومؤتمر الثقافة العربية والاصلاح الذي انعقد في القاهرة قبل اكثر من عامين، ثم تناول الثقافة والتنمية ومشروع السياسة الثقافية، واعادة صياغة الوجدان المصري،وكذلك تناول المتحف المزمع انشاؤه في مصر على ان يكون اكبر متحف في العالم.

يقع كتاب العمري في 300 صفحة من القطع المتوسط وأصدره على نفقته الخاصة.

تقرير: الإعلام الفضائي أثّر على الثقافة السياسية العربية

■ واشنطن ـ من أليكسيا تيرزوبولوس: تمكنت التقنية المتطورة من تشجيع وسائل الإعلام العربية على تغطية أكثر تحررا للمسائل الخلافية، ولكنها لم تصل إلى مستوى التأثير في الثقافة السياسية للمنطقة.

وأدت الثورة المعلوماتية التي اجتاحت العالم العربي إلى قيام أكثر من 180 محطة تلفزيونية فضائية، إضافة إلى محطات إذاعية جديدة ومكنت الجمهور من الدخول إلى شبكة الإنترنت، وفق رأي الصحافيين المشاركين في مؤتمر عن نهضة وسائل الإعلام العربية استضافته الجامعة الأميركية في واشنطن.

وقال إدمون غريب، المحاضر في تاريخ الشرق الأوسط وسياساته، إن التغيرات التي طرأت على ثقافة الإعلام العربي انعكست مزيدا من الحرية الصحافية التي تجلت في تغطية المحطات التلفزيونية الفضائية.

وأضاف إن الإعلام التلفزيوني الفضائي «يتميز بهامش أوسع من الحرية، ويقدم المزيد من المعلومات إضافة إلى اعتمادة تعددية مصادر الأخبار».

ورأى غريب أن المحظورات التقليدية في القاموس الإعلامي للشرق الأوسط، كالإشارة إلى الإلحاد والزنا ودور المرأة والفساد الحكومي وخرق حقوق الإنسان، أصبحت عرضة للاختراق من قبل الإعلام الفضائي الجديد.

أما رولا دجاني، المخرجة لدى مكتب فضائية الجزيرة القطرية بواشنطن، فلحظت تحسنا في أداء وسائل الإعلام العربية، لكنها لفتت إلى أنه من المبكر الحكم على ما إذا كانت هذه التحسنات ستؤثر على الثقافة السياسية في المنطقة.

وأشارت دجاني إلى أنه على الرغم من أن الجزيرة قادرة على عرض برامج تنتقد سياسات عدة حكومات عربية، فإن المواطنين لا يستطيعون المجاهرة بدعمهم للإصلاح لأن البيئة السياسية والاجتماعية ما زالت تقيد حرية التعبير.

وقالت إن «المشاهدين تقيدهم الثقافة السياسية للشرق الأوسط. من الصعب إحداث تغيير».

ويشكك بعض الصحافيين، كسلامة نعمات، مدير مكتب صحيفة الحياة السعودية في واشنطن، في النوايا المحركة للإعلام «الحر» في الشرق الأوسط.

وقال نعمات إن «وسائل الإعلام الأكبر والأهم والأكثر تأثيرا في العالم العربي هي محطات التلفزة الفضائية» كالجزيرة ومنافستها السعودية، العربية.

واعترف نعمات بأن هاتين الفضائيتين تعرضان نقاشات متعلقة بالإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، لكنه شكك في أن يكون هدفهما هو تغيير قناعات الشعوب العربية لأنهما مملوكتان من قبل حكومتين عربيتين، وفق رأيه.

واعتبر نعمات أن «الحكومات العربية لا مصلحة لها إطلاقا في وسائل إعلام حرة يمكن أن تطيح بها».

ورأى أن الحكومات أوجدت هذه المحطات الفضائية لتحقيق «هدف واحد هو تشويه قضية الديمقراطية».

ووصف نعمات الإعلام العربي بأنه أدوات دعائية تهدف إلى تلطيخ صورة الديمقراطية.

واعتبر أنه طالما استمر الإعلام العربي في خدمة أنظمة مستبدة، فسيكون تأثيره سلبيا على الثقافة والقناعات السياسية في العالم العربي، بغض النظر عما توفره التقنية المتطورة من فرص.

وخلص نعمات إلى أن الإعلام العربي يؤدي «دورا هداما لا بناء» في ما يتعلق بالثقافة السياسة في الشرق الأوسط.

لكن غريب والدجاني لم يؤيدا نظرية الدوافع الخفية للإعلام العربي، علما أنهما أقرا بأن الأخبار تضخ إلى مجموعات محددة من المتلقين.

وقال غريب: «لا شك في أنه ما من أمر أغضب الحكام في عدة بلدان شرق أوسطية، وأرضى المشاهدين أكثر من الإعلام الجديد (الفضائي)».

لكن غريب والدجاني وافقا نعمات على أن الإعلام العربي لم يؤد دورا بناء في تشكيل القناعات السياسية الجديدة للرأي العام العربي.

وقال غريب: «لست متأكدا من أن هذه الحرية مرتبطة بالضرورة بالعملية السياسية بحيث تتم ترجمتها إلى فعالية سياسية. لا شك في أن لها تأثير، لكن من المبكر جدا القول ما إذا كانت ستؤدي إلى إحلال الديمقراطية والليبرالية».

(يو بي أي)